بلاد المغرب

" دراسة جغرافية وسكانية قبيل الفتح الإسلامي "

د. الطيب زين العابدين
جامعة محمد لمين دباغين
- سطيف - 02

الملخص:

يعتري المصادر التاريخية القديمة والكتابات المتأخرة وبخاصة الحالية منها اختلاف وغموض تاريخي، وأحياناً جغرافي حول مشكلة التسميات والحدود الجغرافية التي يمكن أن تطلق على ما يعرف اليوم بالمغرب الكبير، فضلاً عن الجدل القائم حول العديد من الفرضيات التي تناولت أصول العناصر السكانية الأصلية والوافدة إليها، إذ شهدت هذه المنطقة اختلاف في الأنظمة السياسية التي توالت عليها، مع عدم استقرار الحدود السياسية لبلدانها، إما بسبب النّزاعات القبلية بين أهلها أو بسبب تدخل المستعمر عبر العصور التاريخية، ولكون موقع البلاد الجغرافي وبسكانه كانا لهما الدور الكبير في أغلب العصور التاريخية في بلورة الواقع الحضاري المتطور والمختلف من مرحلة تاريخية إلى أخرى، فقد يُصعب هذا الأمر لدى الباحثين تناول مسألة جدلية المكان والسكان الذي نجده اليوم أهميته في الكتابات والأبحاث التاريخية.

الكلمات المفتاحية: بلاد المغرب؛ جغرافية المغرب؛ البربر؛ البيزنطيون؛ الأفارقة.

Résumé:

Les sources historiques et les écrits tardifs, en particulier les textes actuels, contiennent des différences et des ambiguïtés historiques et géographiques sur le problème des noms et des frontières géographiques qui peuvent être rapportés à ce que nous appelons maintenant le Grand Maghreb, ainsi que la controverse entourant de nombreuses hypothèses concernant les origines de la population.

Cette région a connu un changement dans le système politique qui y a conduit a l'instabilité des frontières de leurs pays, soit à cause des conflits tribaux entre leurs peuples, soit à cause du colonialisme qui on vécut , et du fait que la situation géographique

du pays et sa population ont joué un rôle majeur dans leur développement, Les chercheurs doivent faire face à la réalité des mouvement humaines a traves histoire dans l'espace et le temps en se basant sur les documentations archéologiques et litéraires.et donné une approche historique de ces mouvements humaines et les delimité leur térritoires.

Mot clés:

le Grand Maghreb; frontières; conflits tribaux; mouvement humaines.

أولا: الدراسة الجغرافية:

1. التسمية:

استخدم الدارسون تسميات عديدة للدلالة على بلاد المغرب القديم، منها ليبيا* وإفريقيا وبلاد البربر وشمال إفريقيا، وتختلف هذه التسميات من حيث تاريخ ظهورها واستعمالها وتطور مدلولها[1] ، علاوة على مصطلحات أخرى مثل: إفريقية الصغرى، وجزيرة المغرب وبلاد الأطلس، والتي نجدها قليلة الاستعمال بين المؤرخين [2].

الجدير بالذكر أن ليبيا في مفهوم هيرودوت هي كل شمال إفريقيا من النيل شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وهي كذلك القارة الإفريقية[3]، إذ يتطابق هذا الاسم والتحديد الجغرافي نفسه عند بركوبيوس القيصري بالقول" أنّ الأرض التي تقع يسار النيل تحمل اسم ليبيا"[4]، وقد أطلقها المصريون القدامى، ثم وسع الإغريق من استعمالها، لِتستخدم منذ أواخر القرن الثالث قبل الميلاد تسمية "أفريقيا" التي أطلقها الرومان على أملاك الدولة القرطاجية في البداية لِيتوسع مدلولها بعد ذلك لتشمل كامل القارة[5]، و لكون ظهور مصطلح إفريقية في العهد الروماني، فقد تحدّد مدلوله في معظم المصادر العربية لِيقتصر على ما يلي إقليم طرابلس غرباً حتى بجاية، وتعني الإقليم الذي يتوسطه القيروان[6] ، كما أطلق أيضا الرومان كلمة موريطانيا على أجزاء من المغرب والجزائر، ولما جاء العرب، سموا شمال إفريقيا باستثناء مصر "جزيرة المغرب" [7].

أما مصطلح المغرب فيرتبط ظهوره، بعصر الفتنة بين الإمام علي ومعاوية رضي الله عنهما، أي قبل منتصف القرن الأول الهجري، ويظهر أنه استعمل في هذه الفترة للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي[8]، ولكون بلاد المغرب كلها تعتبر من ناحية الطبيعة والجغرافية والمناخ إقليماً واحداً له خصائص ومميزات واحدة تجعل من العسير تقسيمه إلى وحدات سياسية متميزة بعضها عن بعض، فقبل الفتح الإسلامي أي في عصور الإغريق والرومان والبيزنطيين كان المغرب بالمفهوم الذي ذكرناه يعتبر وحدة سياسية واحدة، وينقسم إلى ولايات، وقبيل الفتح بقليل، أي في أواخر العصر البيزنطي، كان المغرب مقتصراً في الواقع على ما يعرف اليوم بتونس، وكان يسمى في التقسيم الإداري للدولة البيزنطية باسم "ولاية أفريقية-Provincia Africa" [9].

يطلق أيضاً مصطلح المغرب على كل البلاد الإسلامية الممتدة من حدود مصر الغربية حتى ساحل المحيط الأطلسي، ويختلف المؤرخون العرب في وضع مصر بين شرق العالم الإسلامي وغربه، فبعضهم يضعها في بلاد الشرق، وهناك عدد قليل منهم يعتبر مصر مِن بلاد المغرب، وهناك خلاف حول حدود مصر الغربية، فخلال العصور الوسطى كان إقليم برقة، و المعروف اليوم باسم بنغازي داخلاً في حدود مصر، وكذلك الحال في العصور القديمة وخاصة العصر البيزنطي الذي سبق العصر الإسلامي، وفي أحيان كثيرة نجد إقليم برقة يختفي ذكره أحقاباً متطاولة بعد الفتح الإسلامي لِأنّ أحداً لم يؤرخ له، في حين أن تاريخ طرابلس معروف في جملته لِأنه دخل ضمن إقليم إفريقية[10].

2. الموقع وأقسامه:

تبدأ حدود المغرب الكبير من حدود ليبيا مع مصر إلى ساحل بحر الظلمات ويمثل وحدة اجتماعية متكاملة تُمثله القبائل المغربية الممتدة من برقة شرقاً إلى ساحل بحر الظلمات غرباً، إذ كان لهذه الوحدة خصائص دقيقة أعطت صفة التكامل الاجتماعي من جهة وصفة الوحدة الجغرافية من جهة أخرى[11] .

من الباحثين من يعرف المغرب بأنه مجموع الأقطار الإفريقية الممتدة غربي مصر[12] ، المقسمة إلى ثلاثة أقسام كبيرة بحسب قربها أو بعدها عن عاصمة الخلافة الإسلامية[13] وعن مكان الحج وهي: المغرب الأدنى ويشمل منطقتي طرابلس وتونس وكانت قاعدته هي مدينة القيروان، ثم مدينة تونس[14] المغرب الأوسط الحالي وقاعدته مدينة تلمسان[15] ثم مدينة الجزائر، والمغرب الأقصى ويبدأ بنهر ملوية وينتهي بالمحيط الأطلسي غرباً[16].

يضاف عند الباحثين أيضا إقليم برقة ثم إقليم طرابلس ومن هذين الإقليمين مضافاً إليهما إقليم فزان تتكون ليبيا الحالية، وقد كان هذان الإقليمان منفصل أحدهما عن الأخر سياسياً خلال العصور الإسلامية، فكانت برقة إما تابعة لمصر أو غير واضحة التبعية السياسية، أما طرابلس فكانت تدخل في نطاق ما كان يعرف باسم بلاد إفريقية، إذ أنّ الكثير من أوطان العرب الرّاهنة تتألف من أجزاء كان لكل منها تاريخ أو اتجاه مستقل في الماضي، أي قبل تحقيق وحدة ذلك الوطن في العصر الحديث[17] .

في شأن إفريقية فقد سماها العرب بالمغرب الأدنى لِأنها أقرب إلى بلاد العرب ودار الخلافة بالحجاز والشام، وتمتد من طرابلس شرقاً حتى بجاية أو تاهرت غرباً، وقاعدتها مدينة القيروان[18]، أما المغرب الأوسط ويمتد من تاهرت حتى وادي ملوية وجبال تازة غرباً وقاعدته تلمسان[19]، بينما يحتل المغرب موقعاً استراتيجيا ممتازاً بين البلاد الإفريقية، فهو يحرس مدخل

البحر من الغرب كما تحرسه مصر من الشرق، وقربه من أوروبا جعله ينقل إليها حضارته التاريخية في القرون الوسطى بالاشتراك مع الأندلس[20]، ويعتبر المغرب الأقصى أكثر أقطار المغرب عزلة، إذ كان أقلها تأثراً بالحوادث السياسية الكبرى التي تمر عليه، وأقل أجزاء المغرب تعرضاً للفتوحات القادمة من الشرق[21] .

وعلى الرغم من تمتع كل منطقة من هذه المناطق المغربية الثلاث بخصائص تميزها عما سواها، فضلا عن الروابط المشتركة التي تجمع بينها[22] ، ففي شأن أهمية التضاريس، شكّلت جبال المغرب سداً منيعاً منذ فجر التاريخ، فمثلا توقف الفينيقيون في توسعاتهم عند السواحل الشمالية والغربية، وعجز الرومان عن إخضاع سكان الأرياف والتوغل في جبال الأطلس، كما وقف البيزنطيون عند سبتة[23] .

من حيث خصائص الموقع فالمغرب الكبير مشتمل على السهول والجبال، فساحله الطويل بسيط من الأرض دائم الخصب والخيرات، أما جباله فهي جبال الأطلس، وهي سلسلتان تبتدئان من المغرب الأقصى وتنتهيان في تونس، وتسمى السلسلة الشمالية منها الأطلس الشمالي، مقارنة بالسلسلة الجنوبية "الأطلس الصحراوي"[24].

ثانيا: الدراسة السكانية:

1.العناصر المحلية :

تعتبر بعض المصادر اليونانية كل أجزاء ليبيا الممتدة على طول البحر الشمالي، انطلاقاً من مصر حتى رأس "سولويس– Solooeis" حيث تنتهي القارة الليبية أهلة بأقوام ينتسبون إلى الليبيين الموزعين على عدد من الشعوب، ماعدا الأجزاء التي يحتلها الإغريق والفينيقيون[25] .

في شأن المصادر الفرعونية من النصوص الهيروغليفية والمنحوتات والرسوم، فقد أطلقت على سكان بلاد المغرب أسماء عديدة حسب أسماء المجموعات البشرية التي اتصلوا بها؛ ومن هذه الأسماء "التحنو" أو "التمحو" ثم "المشواش" أو "الأمازيغ"، كما أنهم استعملوا كلمة "ريبو" أو "ليبو" للدلالة على المجموعات البشرية التي كانت تعمر المناطق الواقعة غرب مصر والممتدة حتى المحيط الأطلسي[26].

أطلق الرومان أيضاً تسمية " الباربار" على سكان المنطقة الرافضين لسيطرتهم، وامتد مدلوله إلى البلاد التي سكنوها، أما العرب المسلمون فاستعملوا تسمية "بربر" كمدلول إثني، فتكون بالتالي ليبيا أو لوبة وشمال إفريقيا أفريكا وبلاد البربر والمغرب القديم ذات مدلول واحد[27].

ثم إن تسمية البربر أنفسهم بـــ" إمازيغن" ضاربه في القدم، بِهَا عرفهم أقدم المؤرخين، وعرفهم بها أقرب جيرانهم إليهم، وهم المصريون القدماء مع تحريفهم لِاسمهم في النطق، ثم في الكتابة، ولهذا الأمر مبرراته اللغوية، فمثلا كان المصريون في عهد " رامسيس الثالث" يسمونهم " ماشوش" لِأنّ اللغة المصرية في ذلك الوقت كانت تقلب حرف الزي شينا ...الخ[28].

يقول ساليستيوس".... في البداية كان الجيتول والليبيون يسكنون إفريقيا وهو شعوب ...، وكانوا بدواً رحلاً ينصبون مساكنهم كلما يضطرهم الليل، لكن عندما مات هرقل في إسبانيا كما يعتقد الإفريقيون بأن جيشه المكون من أقوام كثيرة سرعان ما تفكك بعد أن فقد قائده، ولاسيما أنّ كثيرين كانوا يرغبون في خلافته في قيادة الجيش، وكان ضمن هذا العدد الميديون والفرس والأرمنيون الذين بعد أن عبروا بالسفن إلى إفريقيا ...، اختلط هؤلاء الفرس تدريجياً مع الجيتول عن طريق الزواج، ولِأنهم كانوا يتنقلون من مكان إلى أخر لِيُجربوا خصوبة الأرض فلقد سمّوا أنفسهم نوميداي Numidae- لكن الميديين والأرمنيين وهو شعوب يجاورون الليبين

ولِأنّ هؤلاء يسكنون أقرب إلى البحر الإفريقي بينما يسكن الجيتول إلى الجنوب... استطاع هؤلاء أن يؤسسوا مدناً بسرعة،... وبمرور الوقت غيَّر الليبيون اسم هذه الشعوب ودعوهم "المافري - الماوري- الموريين" بدلاً من الميديين "[29].

إذن من خلال الإطلالة على المصادر والكتابات التاريخية حول مسميات الشعوب القديمة يمكن أن نقترب من فترة ما قبل الفتح الإسلامي لنشير إلى غلبة العنصر البربري والسوداني في الدراسات والأبحاث التاريخية فنجد:

أ.البربر:

إن الحديث في أصل البربر من أكثر الأحاديث اضطراباً وأوسعها خلافاً، بَحَثَ فيه المؤرخون قديماً وحديثاً، وأطالوا البحث ولكن لم يحصلوا إلاّ على روايات متضاربة وأراء متناقضة[30] ، ومن أهم الباحثين الذين قاموا بجمع ومقارنة تلك الآراء بعضها ببعض الباحث "مبارك بن محمد الميلي"، إذ نجده يقول:

- فرقة ترى أنّ البربر نشأوا بالمغرب وليسوا منقولين من وطن أخر، ومن هذه الفرقة أفلاطون من القدماء وفرونال Fournal من المتأخرين.

- فرقة تقول إنهم إيجيون من سكان ضفاف بحر إيجه-Egée " بحر الأرخبيل"، ومن هذه الفرقة هيرودوت/ ديودر الصقلي/بلوتارك.

- فرقة تقول أنهم ساميون أنساب العرب، ثم اختلفوا من بعد، فذكر بركوبيوس أنهم من العبرانيين والبونيقيين، وروى الطبراني أنهم من نسل نقشان أو- نفسان- بن إبراهيم عليه السلام وهو رأي يبدوا أنه يقترب من رأي بركوبيوس.

- روى أبو عمر عبد البر عن بعض نسابة العرب أنهم من ولد نعمان بن حمير بن سبأ، وقيل أيضاً أنهم من أوزاع اليمن: وقال المسعودي من غسان وغيرهم، وقال غيره من لخم بن جذام، وقيل من عملاق بن لاوذ بن أرم بن سام، هذا ملخص أقوال الفرقة الثالثة[31].

- فرقة تقول إنهم حاميون: قيل من مصراييم بن حام، وقيل من مازيغ بن كنعان بن حام.
- فرقة تقول أنهم من الفرس- وفارس قِيل من "سام" أو " يافث"، وتقترب من رأي المؤرخ الروماني سالوسيتوس، ومثل هذه الرواية رواية من روى أنّ البربر من ولد جالوت، فقد نسب ابن خلدون جالوت إلى فارس[32] .
- فرقة تقول إنهم أخلاط من أصول: ففي بعض روايات الطبري أنهم من العمالقة وهو ساميون ومن كنعان بن حام، وقال مالك بن المرحل: البربر من العمالقة وحمير ومضر وقريش قبائل سامية، والقبط وكنعان قبيلتان حاميتان باتفاق[33] .

يبدو هنا توطأ مؤرخي الرومان والروم والعرب والأوربيين على تسميتهم بكلمة هجينة تعبر عن مرحلة بدائية من التنظيم الاجتماعي، ولا تعنى أبداً معنى الهمجية أو الوحشية تلك هي كلمة بربر التي نضطر لاستعمالها في تضاعيف الكتاب لشهرتها، وإن كنا نفضل رأي "موسى لقبال" تسمية هؤلاء بما سموا به أنفسهم أي "الأمازيغ"[34].

يذهب معظم الباحثين إلى أنّ البربر أصل سامي من أبناء سام ابن نوح لا يافث بن نوح، فقد كانت الجزيرة العربية موطن الساميين مُغشاة بالثلوج في شمالها، وكانت اليمن مهد أبناء سام الأوّلين مختلطين مع أولاد أعمامهم أبناء حام، فلما انحسرت الثلوج اشتدت الحرارة وقحلت البلاد وتفرق سكانها فانتقل الفرع السامي من البربر والنوبة والحبشة وقدماء المصريين إلى إفريقيا واستوطنوها، فانفرد البربر بشمال إفريقيا والحبشيون بإفريقيا الشرقية والسودان بإفريقيا الشرقية والوسطى، وهذا ما ذهب إليه العرب وهو مشهور المذهب عند الأوربيين اليوم لاسيما علماء الألمان النُّزهاء في بحوثهم، ويتبعهم في ذلك الإيطاليون[35].

يذكر ابن خلدون في أصل البربر" أن إفريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا المغرب وإفريقية وقتل الملك جرجيس وبنى المدن والأمصار (وباسمه زعموا سميت إفريقية)، لما رأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانتهم ووعى اختلافها وتنوعها وتعجب من ذلك قال: ما أكثر بربرتكم! فسموا البربر، والبربرة بلسان العرب، هي اختلاط الأصوات الغير مفهومة ومنه يقال بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة[36] .

عاش البربر في بلادهم قروناً طويلة قبل الفتح الإسلامي ولهم تاريخ وحروب مع الإغريق والرومان خاصة، ولكن كل علاقة الرومان وبعدهم الروم أو البيزنطيون كانت مع بربر الساحل والسفوح الشمالية للأطلس، ونادراً ما توغل الرومان إلى دواخل البلاد، فيما عدا إقليم تونس وهو سهل فسيح، يرويه نهر كبير المعروف بنهر مجردة، وهناك أوغل الرومان ثم الروم في الداخل[37].

يختلف المؤرخون والنسابة اختلافاً شديداً حول أصل البربر البرانس والبتر، وعلاقاتهم ببلاد المغرب، ويكادون يُجمعون على أنهم عناصر طارئة على هذا الوطن، أتت بهم الهجرات البشرية من الشرق، نتيجة لظروف سياسية خاصة[38] ، أما الخلاف الذي سجله بعض المؤرخين، بين البتر والبرانس قبيل الفتح الإسلامي، فهو ليس خلافاً بين هاتين الكتلتين العظيمتين، وإنما هو خلاف كان ينشأ بين بعض قبائل الفريقين لِأسباب تتصل بالسياسة والحياة الاجتماعية أكثر مما تتصل بنزاع عنصري [39].

يقول ابن خلدون" أما شعوب هذا الجيل وبطونهم فإن علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جذمان عظيمان وهو برنس وماذغيس، ويلقب ماذغيس بالأبتر، ولذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس، وبين النسابين خلاف إن كانا لِأب واحد؟ فذكر ابن حزم عن أيوب بن أبي يزيد صاحب الحمار أنهما لِأب

واحد على ما حدثه عنه يوسف الوراق، وقال سالم بن سليم المطامطي وصابي بن مسرور الكومي وكهلان بن أبي لوا، وهم نسابة البربر: إن البرانس بتر، وهم نسل مازيغ بن كنعان. والبتر بنو بن قيس بن عيلان، وربما نقل ذلك عن أيوب بن أبي زيد، إلا أن رواية ابن حزم أصح لِأنه أوثق[40] .

إذن البربر يجمعهم جذمان عظيمان: برنس ومادغيس، فالجذم الأول يشتمل على عشر قبائل عظمى والثاني على أربع[41]، وهو تقسيم نجده لدى الكتابات المتقدمة والمتأخرة، فمثلا حسين مؤنس كباقي المؤرخين يقسم البربر إلى قسمين كبيرين بحسب أسلوب الحياة والطابع الحضاري إلى:

1-البربر البدو، ويسمون البتر.

2-البربر الحضر ويسمون بالبرانس.

1-البتر:

شعوب البتر عند ابن خلدون: وهم بنو مادغيس الأبتر ويجمعهم أربعة أجذام: أداسة ونفوسة وضريسة وبنو لوا الأكبر-لواتة-، وكلهم بنو زحيك بن مادغيس، فأما أداسة بن أداس بن زحك فبطونهم كلها في هوارة لِأن أم أداس تزوجها بعد زحيك أوريغ ابن عمه برنس والد هوارة، فكان أداس أخاً لهوراة، ودخل نسب بنيه كلهم في هوارة، وهم سفارة واندارة وهنزولة وضرية وهداغة وأوطيطة وترهتة، هؤلاء كلهم بنو أداس بن زحيك بن مادغيس وهو اليوم في هوارة[42] .

إضافة إلى ما سبق نجد عدة قبائل: زناتة ومديونة صدينة وزواوة وزواغة ونفزة ومغيلة ومطغرة ومطماطة، وأغلبية البتر يقطنون الصحراء والمناطق الرعوية ابتداء من طرابلس إلى تازا، وبعضهم ينزل نجود طرابلس وجبال الأوارس[43].

2 -**البرانس :**

كان البربر الحضر – البرانس- يسكنون بصفة عامة الشريط الساحلي والسفوح الشمالية لجبال الأطلس وهو يشبهون في ملامحهم سكان الأندلس وسكان جزائر البحر المتوسط، وتنتشر بينهم شقرة الشعور وبياض اللّون وزرقة العيون وخاصة بين أهالي الجبال، هذا الفرع الكبير من البربر هو أصل البربر وهم من الأقوام الذين سكنوا هذه البلاد منذ أقدم العصور[44] .

نجد صنهاجة وكتامة من قبائل حمير حسب رأي بن خلدون[45] وأوربة ومصمودة وهكسورة وجزولة ولمطة وعجيسة، ويشكل البرانس أكثر نصف البربر، وهم ينزلون في جبال الأطلس الكبير إلى المحيط الأطلسي كما يوجدون في وسط الجزائر وجنوبها[46].

شعوب البرانس عند النسابين أنهم يجمعهم سبعة أجذام وهي " ازداجة ومصمودة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأوريغة، وزاد سابق بن سليم وأصحابه: لمطة وهكسورة وكزولة، وقال أبو محمد بن حزم: يقال إنّ صنهاج ولمطة إنما هما ابنا إمرأة يقال لها "بصكى" و في رواية ثانية "تصكي" ولا يعرف لهما أب، تزوجها أوريغ فولدت له هوار فلا يعرف لهما أكثر من أنهما أخوان لهوار من أمه، وقال: وزعم قوم من أوريغ أنه ابن خبوز بن المثنى بن السكاسك من كندة وذلك باطل[47]، و يذكر ابن خلدون عن الكلبي: أنّ كتامة وصنهاجة ليستا من قبائل البربر، وإنما هما من شعوب اليمانية تركها أفريقش بن صيفي بأفريقية مع من نزل بها من الحامية[48] .

ب. السودان:

نظراً للامتداد الجغرافي بين المغرب وبلاد السودان كانت هناك علاقات وطيدة بين البربر وأهالي السودان وهذا ما ترتب عليه امتزاج الدماء منذ أقدم العصور، وحسب أحد المؤرخين أنه لم يكن للسودانيين كيان قائم بذاته في المغرب لِأنّ الدماء السودانية كانت تضمحل في وسط الدم البربري بالمغرب، بل كانت بلاد سمغارة في السودان يسكنها قوم من البربر في "عمل تادمكة"، ومعنى تادمكة هيبة مكة، وأهلها بربر مسلمون قد تأثروا بالعادات السودانية مثل تنقبهم كتنقب بربر الصحراء[49].

2.العناصر الأجنبية:

أ-الأفارقة:

الأفارقة خليط جنسي، مِنهم من تجري في عروقه الدماء السامية القرطاجية[50]، من بقايا شعب قرطاجة، ومنهم أخلاط من المستعمرين اللاتينيين -بقايا الرومان والروم- الذين تأثروا بالحضارة الرومانية والبيزنطية[51]، العائدة إلى السلالة الآرية، وكان ولاءهم غالباً لمن يسيطر على المنطقة، إذ كان ولاؤهم للبيزنطيين أن أخذوا عنهم الديانة النصرانية، ومظاهر الحضارة الرومانية، وقد دان بعض هؤلاء بالإسلام أثناء أو عقب الفتوحات[52] من أجل المحافظة على أراضيهم، ولو أنّ الكثير منهم ظلوا يتكلمون لغة خاصة بهم ربما كانت مزيجاً من اللاتينية والبربرية [53].

كما أن النصارى - بقايا الرومان والبيزنطيين وعجم البلد- الذين تنصروا في الفترات السابقة للإسلام، ظهر دورهم في فترات الفتح، فقد كانوا يخضعون لحكم البربر ويدينون بالولاء لملوكهم، وكانت لهم مزارع ومسارح سعوا للمحافظة عليها من التدمير وعندما اتصلوا بحسّان بن النعمان مستنجدين به من الكاهنة، هؤلاء هو الذين تسميهم المصادر بالأفارقة أو عجم البلد[54].

ب-اليهود:

يرى بعض الكتاب أن اليهود بدأت تعرف طريقها إلى البلاد عن طريق الفينيقيين، وذلك قبل أن تهاجر جماعات منها إلى المغرب على أيام حكم الرومان، والظاهر أن هذه الهجرة هي التي جعلت الكتاب العرب يقولون أن أصل البربر من فلسطين [55]، ولكون اليهود تاريخياً أول مجموعة غير بربرية وفدت على المغرب وما تزال تعيش فيه إلى يومنا هذا، فليس في هذا الشأن من أدلة مكتوبة أو شواهد تدل على إقامة مستعمرات يهودية على الشواطئ الإفريقية في عهود مدنيات صور وصيدا، ويعتبر تاريخ تلك الفترة ضرباً من الأساطير، لكن تتحدث الأخبار عن وجود أثار لِأحجار كانت بمثابة علامات لحدود يقال بأن الذي وضعها هو" يواب بن سرويا" قائد جيش الملك داوود، وتختلف أيضاً في المكان الأصلي الذي وُضعت فيه من أرض المغرب الكبير، فقد زعموا أنها وضعت بجزيرة جربة" تونس" و طنجة، و فاس، وفي وادي درعة أو التخوم الصحراوية المغربية، تلك الأماكن التي أرادت هذه الأخبار أن تكون الموطن الذي وصل إليه القائد المذكور متعقباً سكان فلسطين الأصليين، ويعتقد بعض اليهود أن البرابر ما هم إلا بقايا أولئك الفلسطينيين، وتجدر الإشارة هنا إلى أنهم يترجمون اللفظة العبرية "فلستيم" التي جاءت في التوراة بلفظة برابر[56].

أما في العهد الروماني فإننا نتوفر على معلومات هامة سواء في التلمود و كتابات الأحبار أو النقوش والأثريات المتوفرة حالياً، أو في أخبار المؤرخين القدماء والمُحدثين، يهود وغير يهود، أولئك الذين تناولوا تلك الفترة التاريخية بالدراسة، حيث تعرضوا لذكر اليهود ببرقة، وثورة اليهود في عهد ترجان trajan وأخبار Procope...الخ، كما تعرضوا لذكر طائفة يهودية كانت تسكن مدينة وليلي في العهد الروماني، ويظهر أن المستعمرة اليهودية ظلّت في وليلي إلى أن ورد المسلمون على المغرب، وقد أشار المؤرخون المسلمون أنفسهم إلى وجود قبائل بربرية متهودة في زرهون غير بعيد عن هذا المكان [57].

ج- الروم:

من الطبيعي أن نجد عنصر الرومان والروم في المغرب لأنهما سيطروا على المغرب لمدة طويلة وكان من بينهما العنصر الوندالي، ورغم أنّ الوندال لم يتعدوا القرن من الزمان إلا أن لجوئهم إلى دواخل البلاد إثر الاجتياح البيزنطي، جعلهم يختلطون ويتزاوجون مع البربر وهو السبب الذي يرجعه بعض المؤرخين ويفسرون به تواجد الشقرة الزرقة في بعض القبائل البربرية[58]، كما وجدنا أن المؤرخين يتحدثون عن الروم بالمغرب قبل وبعد الفتح، ومنها أنّ كسيلة الأوربي كان في خلق عظيم من الروم والبربر، بل وكان جميع من بإفريقية من الروم لها مطيعين[59].

الخاتمة:

لابد على الباحثين في الدراسات الجغرافية والسكانية أن يفرقوا بين مختلف المصطلحات) التسميات) الجغرافية والسكانية ويعيدوا قراءتها من جديد قراءة موضوعية بعيداً عن الذاتية والعنصرية، كما يجدر على الباحثين التفريق بين مصطلحي المغرب الإسلامي والغرب الإسلامي، إذ شكلت هذه المنطقة مركزا للهجرة لقرون طويلة تم من خلاله استقطاب مختلف شعوب العالم وعبر العصور المختلفة، لا لِكونه أحد مناطق العبور الرئيسية فحسب، وإنما لما حظيت به من خصائص وجَّهَ الوافدون أنظارهم إليها.

الهوامش:

* ورد اسم ليبيا في العهد القديم بصيغة لهابيم: ((13وَمِصْرَايِمُ وَلَدَ: لُودِيمَ وَعَنَامِيمَ وَلَهَابِيمَ وَنَفْتُوحِيمَ 14وَفَتْرُوسِيمَ وَكَسْلُوحِيمَ. (الَّذِينَ خَرَجَ مِنْهُمْ فِلِشْتِيمُ وَكَفْتُورِيمُ). سفر التكوين،(10 : 13). وبصيغة االلوبيون: ((41وَيَدْخُلُ إِلَى الأَرْضِ الْبَهِيَّةِ فَيُعْثَرُ كَثِيرُونَ وَهَؤُلاَءِ يُفْلِتُونَ مِنْ يَدِهِ: أَدُومُ وَمُوآبُ وَرُؤَسَاءُ بَنِي عَمُّونَ. 42وَيَمُدُّ يَدَهُ عَلَى الأَرَاضِي وَأَرْضُ مِصْرَ لا تَنْجُو. 43وَيَتَسَلَّطُ عَلَى كُنُوزِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَعَلَى كُلِّ نَفَائِسِ مِصْرَ. وَاللُّوبِيُّونَ وَالْكُوشِيُّونَ عِنْدَ خَطَوَاتِهِ. 44وَتُفْزِعُهُ أَخْبَارٌ مِنَ الشَّرْقِ وَمِنَ الشِّمَالِ فَيَخْرُجُ بِغَضَبٍ عَظِيمٍ لِيُخْرِبَ وَلِيُحَرِّمَ كَثِيرِينَ)). **سفر دانيال،** (11: 41-42-43).

(3)ــ هيردوت، **أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)**، ترجمة وتعليق وشرح مصطفى أعشي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، المملكة المغربية، 2008، ص 23.

(4)ــ **نصوص ليبية من: هيردوتس- بلين الأكبر- ديودورس الصقلي- بركوبويس القيصري**، تر: على فهمي خشيم، ط1، منشورات دار مكتبة الفكر، ليبيا، 1976، ص212.

(5)- خلفة عبد الرحمان، المرجع السابق، ص14.

(6)ــ عبد العزيز سالم، **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1999، ص39.

(7)- عبد السلام بن ميس، **مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة**، ط2، (د-د-ن)، الرباط، 2010، ص13.

(8)- موسى لقبال، **المغرب الإسلامي**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص14.

(9)- حسين مؤنس، **معالم تاريخ المغرب والأندلس**، دار الرشاد، القاهرة، 1992، ص 24-25.

(10)ــ نفسه، ص 24.

(12)ــنفسه، ص279.

(13)- نفسه، ص280.

(14)- عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص13.

(18)- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص41.

(19)- نفسه، ص41.

(20)ــ إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000، ص9.

(21)- عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص43.

(23)- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص9.

(24)ــ محمد على دبوز، **تاريخ المغرب الكبير**، ج1، مؤسسة تاوالت الثقافية، ليبيا، 2010، ص18.

(28)ـ محمد شفيق، **ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الأمازيغيين**، (د.د.ن)، الرباط، 1988، ص9-10.
(29)ـسالوستيوس، **حرب يوغرطة**، تر: محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة بنغازي، ليبيا، 2007، **XVIII-XVII.**
(33)- نفسه، ص83.
(34)- موسى لقبال، المرجع السابق، ص16.
(35)ـعثمان الكعاك، **البربر**، تامغناست، (د.ب)، (د.ت)، ص51.
(39)- إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ج1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 2000، ص24.
(41)- محمد بن مبارك الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د.ت)، ص100.
(42)- ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص116-117.
(43)- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص24.
(45)- ابن خلدون، **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، مج3، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1999، ص170.
(46)- إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص25.
(47)- ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص117.
(48)- نفسه، ص117.
(50)- موسى لقبال، المرجع السابق، ص16.
(51)- الفاتح الزين الشيخ إدريس، **الفتوحات الإسلامية في المغرب وأثرها في انتشار الدعوة الإسلامية، المؤتمر الدولي" الإسلام في إفريقيا"** الكتاب السابع، جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، 2006، ص202.
(52)- موسى لقبال، المرجع السابق، ص16.
(53)ـ سعد زغلول عبد الحميد، **تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية الاستقلال**، ج1، المعارف، الإسكندرية، 1993، ص106.
(55)- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص106-107.
(56)ـحاييم الزعفراني، **ألف سنة من حياة اليهود في المغرب**، تر: أحمد شحلان و عبد الغني أبو العزم الدار البيضاء، 1987، ص9.
(58)- نفسه 1987، ص10.
(59)– Terrasse Henri. **Histoire du Maroc des origines à l'établissement du protection Français**, casablanca TI ,1949, p17.